

د. يعقوب خان مروت

د. خنساء الجاجي

## الرواية التاريخية عند د. نجيب الكيلاني ("نور الله" و "عمر يظهر في القدس") نموذجاً

Dr. Najeeb Al-Kailani is considered one of the most famous writers who enriched the library of Islamic Literature. He has written around forty novels, seven collections of short stories, three dramas, and fives Diwans, apart from the many critical studies in the field of Islamic Literature.

It is not possible to ignore the status of Al-Kailani and his eminence in the field which he has tackled.

The novels which he has produced revolve round several points:

١- In his early novels he presented different aspects of the real life in Egypt.

٢- His work also include the novels which picturize the problems of the Muslims outside the Arab World, like Central Asian States, China, Ethiopia, Indonesia, and Nigeria.

٣- They also deal with the contemporary issues related to Muslims like the reformation of the society, bringing out the disturbances with all its shapes and its remedy by inviting the people with good means and Islamic values.

٤- They deal with Islamic History and Seerah of the Holy Prophet (PBUH) and his guided Caliphs.

In this article, we will take two novels as model for Historical novels and they are: "نور الله" and "عمر يظهر في القدس".

يُعدُّ الدكتور نجيب الكيلاني من أبرز من شارك في إثراء مكتبة الأدب الإسلامي فقد كتب حوالي أربعين رواية، وسبع مجموعات قصصية قصيرة، وثلاث مسرحيات، وخمسة دواوين شعرية، إلى جانب دراسات كثيرة في مجال الأدب الإسلامي، ولا يمكن إنكار فضل

\* د. يعقوب خان مروت : رئيس قسم اللغة العربية في جامعة بيشاور.

\*\* د. خنساء الجاجي : مُحاضرة في اللغة العربية في جامعة فرنتر للنساء بشاور.

الكيلاني وتميزه في المجالات التي كتب بها، فقد كانت له بصمته الواضحة في كل هذه المجالات، ويهمنا هنا الروايات التي ألفها فقد كانت تدور في عدة أطر :

**الإطار الأول :** وهو الإطار الذي يدخل ضمنه معظم الروايات المبكرة له، وقد تناول فيها جوانب الحياة الواقعية في مصر فتناول الحياة في القرية والمزارع المصري وهمومه وآماله والاحتلال البريطاني لمصر، وحقل الطب وما يتبعه من كلية الطب والدارسين فيها والمستشفيات وما تحويه من علاقات وفساد إداري أو أخلاقي وشخصيات كانت قرية جداً من المحيط الذي عاش فيه المؤلف نفسه كونه طبيباً، كذلك تناول الحياة السياسية في مصر وما فيها من ترهيب للمواطن المصري وغياب للحريات وكنم للأفواه وضياع لكرامة الإنسان فأسهب في وصف السجن وما فيه من سجناء وسجانين، ومن تلك الروايات : الذين يحترقون، وطلائع الفجر، وليل وقضبان، والريبع العاصف، وفي الظلام.

**الإطار الثاني :** تدخل ضمنه الروايات التي عبّر فيها عن هموم المسلمين خارج حدود العالم العربي مثل دول آسيا الوسطى التي كانت تحت الحكم الشيوعي من الاتحاد السوفياتي والصين، وأثيوبيا، وأندونيسيا، ونيجيريا، واستطاع أن يُذكر المسلمين بإخوة لهم في العقيدة لا يعرفون عنهم إلا القليل، وقد سماها د. حلمي القاعود الرواية الاستشراقية<sup>١</sup>، من باب أن الكيلاني توقع واستشرف هذه الدول في المستقبل بالنصر والتحرر من تبعيتها للدول التي حكمتها بقوة السلاح وحاولت طمس الهوية الإسلامية فيها، ومن تلك الروايات: عمالقة الشمال، وليالي تركستان، والظل الأسود، وعذراء جاكارتا.

**الإطار الثالث :** وهو يتناول القضايا المعاصرة التي هم الفرد المسلم من إصلاح المجتمع وتعرية الفساد بكل أشكاله، والدعوة إلى التمسك بالقيم والمبادئ الشريفة، وكل ما يمكن أن يمس الفرد المسلم في حياته في عصرنا الحاضر، ومن تلك الروايات : ملكة العنب، ورحلة إلى الله، وليالي السهاد، واعترافات عبد المتجلي، وامرأة عبد المتجلي.

**أما الإطار الرابع فهو الذي يتناول التاريخ الإسلامي، وفيه نرى الرواية التي تستلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، فقد استدعى الكيلاني التاريخ واستلهمه ليقدم النماذج الإنسانية المشرقة من حضارتنا، وأعاد تأريخ تلك الأيام بصورة فنية جديدة حوت صوراً جميلة للأحداث التاريخية التي يحتاج إلى معرفتها الشباب المسلم، وفي بعض الأحيان كان يستدعي التاريخ كما يرى د. حلمي القاعود ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمة**

بالإحباط واليأس، ويوقظ به الأمل في نفوس الأجيال الجديدة عن طريق إحياء الهمّة وبعث العزيمة وخلق الإصرار، وفي كل الأحوال، فإن استلهم التاريخ في الرواية عند د. نجيب الكيلاني كان إبرازاً لمعطيات الإسلام العظيمة، وإمكاناته الهائلة في تحويل الإنسان المسلم إلى صانع حضارة، وباني مجد، وجندي ظافر في معاركه ضد الشر والتوحش، ومن هذه الروايات: نور الله، وعمر يظهر في القدس، وقاتل حمزة، ومواكب الأحرار، والنداء الخالد، والرايات السوداء.<sup>٢</sup>

وستتناول في هذا البحث روايتين كنموذج للروايات التاريخية وهما "نور الله" و"عمر يظهر في القدس"، حاول الكيلاني فيهما أن يقدم روايتين تدخلان ضمن إطار الأدب الإسلامي الذي كان من أكثر الأدباء حماسة في الدعوة إليه والمشاركة فيه تنظيراً وتفعيلاً. وسنحاول تسليط الضوء على بعض الأمور التي قد تفيد دارسي الأدب بشكل عام، والإسلامي منه بشكل خاص، وذلك من باب أن المؤمن مرآة المؤمن، مع أمل بأن ما سيقدم في هذا البحث سوف يساعد بعض من يريد التصدي لكتابة الرواية الإسلامية مع التأكيد أن ما سيذكر من نقد هنا لا يقلل من أهمية الدور الذي قام به الكيلاني بأي حال في مجال الأدب الإسلامي وفي مجال الرواية الإسلامية بشكل أخص، فلم يصل لمستوى إنتاجه أو غزارته أو شموله أي أديب آخر، إلى جانب أن رواياته قد جذبت الشباب بشكل واضح، وكان لها تأثير كبير فيهم.

### رواية "نور الله" :

هذه الرواية أنهى الكيلاني كتابتها في أواخر ديسمبر ١٩٦٨م كما أوضح في نهاية الجزء الأول منها، وأتبعه بجزء ثانٍ، ولذلك فإن تأريخ هذه الرواية يُعدُّ بالنسبة لرواياته الأخرى متقدماً قليلاً. ود. نجيب الكيلاني كما هو معروف له باع طويل في كتابة الروايات والإسلامية منها بشكل خاص، ولكن بسبب أن هذه الرواية قد كتبها في ذلك الوقت المبكر من مسيرته الأدبية الإسلامية فإننا سنلاحظ بعض الهنات فيها التي غابت عن كثير من أعماله المتأخرة التي استطاع بنجاح كبير أن يتلافى ما وقع فيه في بداية مسيرته الأدبية، وهذا أمر طبيعي وقد طالب الكيلاني نفسه في بعض كتبه<sup>٣</sup> بأن يؤخذ بعين الاعتبار التسلسل التاريخي في مسيرة الكاتب الأدبية، وأكد أنه من الظلم إهمال هذا الأمر.

الزمن :

ينحصر الزمن في هذه الرواية في وقت البعثة المحمدية والهجرة النبوية وما تبعها من غزوات حتى يصل إلى فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وانتشار "نور الله" في كل مكان في الدنيا تبعاً لذلك.

الشخصيات :

معظم الشخصيات التي شاركت في أحداث هذه الرواية هي شخصيات تاريخية معروفة بعضها من الصحابة مثل : عمر بن الخطاب، وسلمان الفارسي، وحفصة بنت عمر، وصفية بنت حيي، وعكرمة بن أبي جهل، وأبو سفيان، وسعد بن معاذ رضي الله عنهم، وبعضها الآخر من المنافقين واليهود مثل : عبد الله بن أبي، وكعب بن الأشرف، وحُيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، بالإضافة إلى بعض الشخصيات الثانوية المختلقة.

الأحداث :

يقول الكاتب في بداية روايته : "رجعنا إلى عدد كبير من المراجع التاريخية والترمنا بأدق الروايات وأقرأها إلى الصدق فيما ورد من أحداث تاريخية".<sup>٤</sup> ويعتمد الكيلاني في كتابته لهذه الرواية على أحداث تاريخية ثبت وقوعها فعلياً، ويزيد على تلك الأحداث التاريخية بعض الأحداث الثانوية التي اختلقها ونسج خيوطها بنفسه لتكتمل روايته فنياً وتؤدي الدور المنوط بها، وقد اخترع لذلك بعض الشخصيات التي شاركت في الأحداث قام المؤلف بتوظيفها فيما يخدم روايته.

الفكرة :

حاول الكيلاني أن يركز جهوده في هذه الرواية على توضيح الفكرة الإسلامية العميقة والشاملة للحياة، وذلك عن طريق توظيفه للأحداث التاريخية والشخصيات والحوار بينها.

الحوار :

توظيف الكيلاني للحوار في هذه الرواية مفيد وحيوي، ولكن تدخله في بعض الأحيان حمّل بعض شخصياته مالا تألفه في ذلك العصر، ففي بعض الأحيان كانت تظهر شخصية الكاتب بين السطور، بشكل يقطع انسجام القارئ للرواية، فمن ذلك يقول أبو عبد

الله - أحد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة - مخاطباً زوجته : "ما أنعس أن يتحول الحاكمون إلى حملة للسياس .. فالحاكم ليس له في ذهني سوى صورة الأب الحنون الكبير القلب الذي ينحاز للحق، قد تظنين أنني حالم أتخاف عن طبيعة الكون والوجود، لكن إيماني بذلك لا يتزعزع، سأظل أؤمن أن الحاكم مربٍ ومرشد وأب، أما أن يتحول إلى جلاد فهذا ما أرفضه".<sup>٥</sup> فالفكرة عن الحكم والحاكم بهذه الصورة هي فكرة عصرية لم تكن متبلورة بهذا المفهوم العميق أو الفلسفي وقتئذٍ فيظهر لنا الكاتب من خلال هذا الحوار حاشراً نفسه قاطعاً لسياق الأحداث في ذهن القارئ إلا أنه من الممكن أن يكون الكيلاني قد استفاد من أن النحاشي الذي قد اشتهر بالعدل والإنصاف كان مثلاً جيداً يستطيع من خلاله أن يقدم ما يراه الكيلاني نفسه من آراء وتصور لما يجب أن يكون عليه الحاكم بشكل عام.

#### لغة الحوار :

القارئ لروايات الكيلاني يلاحظ أن لغته في رواياته كلها لغة عربية فصيحة يحاول جاهداً أن يحافظ عليها من أن تختلط بالعامية ويظهر ذلك جلياً في روايته محل دراستنا هنا "نور الله" و"عمر يظهر في القدس"، وهذا مما ساعد على انتشار رواياته ليس في العالم العربي فحسب بل في العالم الإسلامي كله، وذلك واضح من خلال ترجمات كثيرة لرواياته إلى لغات عدة، ومن ذلك التركية والفارسية والروسية...، وطبعاً فلا تخلو بعض رواياته الأخرى من كلمات عامية لكن بما أن دراستنا هذه محصورة في هاتين الروايتين فلا مجال لتوضيح ذلك هنا.<sup>٦</sup>

والكيلاني من جانب آخر استخدم في روايته هذه بعض الكلمات التي لا تناسب العصر الذي تدور فيه أحداث تلك الرواية، من ذلك :

أ. يقول أبو عبد الله : "سيعرف القاصي والداني الكثير عن قضيتنا العادلة"<sup>٧</sup>.

ب. "محمد يهدد نظام أمن البلاد"<sup>٨</sup>

ج. "محمد لا يؤمن بالمُسكّنات الوقتية، لقد جاء يحمل الحلول الحاسمة"<sup>٩</sup>.

وهنا رأينا أن الكيلاني لا يكتفي بتعبيرات عصرية بل يستخدم مصطلحات طبية مع معرفتنا بأنه طبيب يمارس مهنة الطب إلى جانب كونه أديباً.

د. "محمد يحدثنا عن الأديان القديمة وكأنه عاشها : تاريخها، تطوراتها، العبث الذي داخلها، وكيف أن الإسلام هو امتدادها الطبيعي، وهو الحلقة الأخيرة الكاملة لها... إنه

الصورة المثلى التي ارتضاها الله لعباده، والعقيدة الكاملة التي تناسب فكر الإنسان وطبيعته وتكوينه"<sup>١٠</sup>.

وهذا شرح وافٍ من الممكن أن يُقدّم لغير المسلمين في عصرنا الحاضر ولا ينسجم مع سياق الأحداث ولغة العصر الذي تدور فيه تلك الأحداث.

٥. حيي بن أخطب يصرخ قائلاً: "الحقيقة هنا، في كتبنا، الحقيقة التي نملكها باقية منذ آلاف السنين، يجب أن تكفّي عن هذا الهراء، هذه الفلسفات العقيمة لا مجال لها في موقف الجدل الحاسم يا صفيّة"<sup>١١</sup>.

و. "نحن - اليهود - أهل فلسفة ودراية بالسياسة"<sup>١٢</sup>. و"دعي الفلسفة جانباً"<sup>١٣</sup>. "اضربوا بقبضاتكم الحديدية كل فم تخرج منه فلسفات عقيمة"<sup>١٤</sup>. وعكرمة يقول: "إن فلسفة الضعف والخور تتسرب إلينا"<sup>١٥</sup>. وعبد الله بن أبيّ ينادي زوجه بقوله: "يا فيلسوفة"<sup>١٦</sup>. والحويرث يقول: "علموك اللعب بالألفاظ، وأوعزوا إليك بفلسفة الضعف"<sup>١٧</sup>. ثم يقول: "أنا أرفض نبوة محمد ولست أشقى بأي اضطراب فكري"<sup>١٨</sup>. وهند بنت عتبة تقول: "عندما أراك تفلسف الأمور يا أبا سفيان أشعر أن ذلك مقدمات الاستسلام والنكوص"<sup>١٩</sup>. وتقول أيضاً: "اذهبوا إلى الناس في الشوارع وخذوا منهم الأمر... وهم أبعد نظراً من ألف حكيم وفيلسوف"<sup>٢٠</sup>.

ز. "تصورك القائم على حتمية انتصار قريش وهزيمة محمد تصور يحتاج إلى نظر"<sup>٢١</sup>.

ح. "إنه نبي يا امرأة، لكنه يؤدي دوره الإنساني على أكمل وجه"<sup>٢٢</sup>.

ط. وعلى لسان حيي بن أخطب ثانية يقول: "كيف نقرر صلاحية الفكرة أو خطأها؟؟ وكيف نحقق صدق المبدأ أو نفعه؟؟ هذه قضية لا يمكن الفصل فيها بسهولة من الناحية العقلية المجردة"<sup>٢٣</sup>.

ي. وأبو العاص يقول: "لم أمارس قلقاً فكرياً حقيقياً في البداية"<sup>٢٤</sup>.

ك. غانية تقول للحويرث: "أنت لم تأتِ حباً فيّ.. وإنما لتغرق أساك بين أحضاني، بحثاً عن السلوى والعزاء، إنني أداة ترفيه"<sup>٢٥</sup>.

ل. عكرمة يخاطب خالد بن الوليد فيقول: "أنا لا أجدف، ولكني أقيم تصوري على أسس عقلية متينة..."<sup>٢٦</sup>

م. أبو بصير يخاطب من أرسلته قرش ليقوم باستعادته فيقول له : "إن بقاء مثلك على قيد الحياة انتكاس للإنسانية.." <sup>٢٧</sup>

ومع أن هذه العبارات لا تتناسب كثيراً مع اللغة المتداولة في ذلك الزمن إلا أن الكيلاني استطاع من خلالها أن يعبر عن أهم المعاني والمفاهيم التي يريد توصيلها لقارئ رواياته، وسيتحارب هؤلاء القراء مع ما كتبه لأنه بفعله ذاك استطاع أن يخاطبهم باللغة المتداولة بينهم وبالمفاهيم التي يهتمون بها وبالمعاني التي يحملون بها ويسعون إلى الوصول إليها.

### حلل في نقل الصورة التاريخية:

هناك بعض الأحداث التي ذكرها الكيلاني في روايته هذه أوجدت تصادماً بينها وبين بعض الثابت من الأخبار المروية، من ذلك :

أ. الكيلاني يذكر أن هدنة الحديبية بين المسلمين وقرش سنتان، ثم في مكان آخر يقول أنها عشر سنوات <sup>٢٨</sup> والثابت تاريخياً أنها عشر سنوات <sup>٢٩</sup> فهل كان هذا خطأ مطبعياً ؟  
ب. هند بنت عتبة في غزوة أحد تميل على أذن إحدى النسوة وتقول : "لو هُزمنّا، لبعث نفسي للشيطان، وللطخت وجه أبي سفيان بالوحل..." <sup>٣٠</sup> وهذا يخالف ما ثبت من قولها للنبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء فقال لهن : "... ولا تزنين" فقالت هند : "أَوَ تزني الحرة ؟!" <sup>٣١</sup> متعجبة مستنكرة، فلم تتابع بيعتها بقولها نعم فلن نقوم بهذا الأمر، بل سارعت بطرح تساؤلها الذي فيه كثير من العفة والعزة والأنفة من ارتكاب هذا الفعل الشنيع.

ج. في بداية الجزء الثاني من رواية "نور الله" يقول الكيلاني : "كانت زينب بنت الرسول مضطجعة على حصير مهترئة (...). والظلام يزحف إلى حجرها الضيقة القليلة الأثاث" <sup>٣٢</sup> (...). تذكرت زينب كل ذلك وهي ترقد على حصيرها المهترئة في تلك الحجرة الضيقة الخافتة الضوء..." <sup>٣٣</sup> فقد رسم لنا الكيلاني صورة لبنت زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فحجرها ضيقة وقليلة الأثاث وخافتة الضوء، إلى جانب الحصير المهترئة التي تنام عليها، ولا يتضح لنا لماذا أراد الكيلاني أن يرسم لنا صورة الفقر المدقع في بيت زينب رضي الله عنها، وزوجها أبو العاص التاجر المعروف في قرش، ولم تتحدث كتب الحديث والسيرة عن فقر زينب وزوجها، بل بعكس ذلك فقد ثبت عن زوجها أبي العاص <sup>٣٤</sup> أنه كان موسراً، وقد أسر

يوم بدر فأرسلت زوجها بقلادة ذهبية أهدتها إياها أمها خديجة رضي الله عنها يوم زواجها، والقصة معروفة ....<sup>٣٥</sup> فلم يكن اختيار هذا الوصف لزينة وبيتها والفقر الذي يعيشون فيه مفيداً للكيلاني في روايته ولم يُضِفْ إليها شيئاً جديداً، ولعل ذلك من الكيلاني يشابه ما تعارف عليه كثير من الناس من أن الفقر شيء مطلوب ومقصود لذاته، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه أنه استعاذ بالله منه<sup>٣٦</sup>. فإطلاق صفة الفقر على شخص ما من الصحابة لن يرفع من منزلته أو يضيف إلى حسناته شيئاً، ولعل الكيلاني أراد أن يرسم لنا صورة للزهد في بيت زينب رضي الله عنها وعدم الانشغال والركون إلى الدنيا، والزهد كما يعرفه العلماء هو أن تكون الدنيا بيدك وليس بقلبك<sup>٣٧</sup>.

د. في التمهيد لغزوة بني قريظة يقول الكيلاني: "حملت الأنباء إلى الرسول نوايا الغدر اليهودي، بل أكدت له عيونه أن بني قريظة قد نقضوا العهد، وانحازوا للأعداء، تألم الرسول ألماً شديداً، وحزَّ في نفسه أن يغدر أهل الكتاب به في هذا الوقت العصيب، ومع ذلك فقد بقي شيء من الأمل يراوده، ألا يجوز أن يكون في هذه الأنباء المزعجة مبالغة؟؟ وإذا صدق الرواة ألا يمكن أن يعدل بنو قريظة عن غدرهم ونقضهم للعهد؟؟ إن إجراء نوع من المفاوضات، يصحبه شيء من التذكير والتحذير، أو النذير اللبق، قد يؤدي إلى خير في موقف هؤلاء المشبوهين .. ثم إن الرسول يريد أن يستوثق من صحة الخبر، حتى يمكنه أن يدير شؤونه، ويدير أموره على أساس الحقائق التي جرت في الموقف..."<sup>٣٨</sup>. ففيما يتعلق بحزن النبي صلى الله عليه وسلم وما حز في نفسه فهل كان صلى الله عليه وسلم جاهلاً بحقيقة يهود نبي؟ والآيات القرآنية حافلة ببيان تكرار غدرهم بأنبيائهم الذين هم منهم؟ فكيف بالنبي العربي الذي حسدوه على نبوته وعادوه لأنه ليس من بني إسرائيل؟ ثم لم لا يكون سبب إرساله لبعض الصحابة لهم ليس من أجل التأكد من صدق الخبر أو كذبه بل لعله نوع من إقامة الحجة عليهم بعد ذلك للتمهيد لغزوهم ومعاقبتهم أسوة بمن غدر من جنسهم أيضاً بعهوده مع المسلمين؟

٥. وحشي بن حرب الذي حصل على حريته ثمناً لقتله حمزة رضي الله عنه نراه في هذه الرواية يحضر مجالس قريش التي تتناقش فيها أمور الحرب والقتال والسياسة التي ستتجهها مع المسلمين، ووحشي بن حرب يدلي بدلوه في هذه المناقشات ويعطي رأيه فيقول: "نعم الرأي



رأي هند..<sup>٣٩</sup> في حثها لرجال قريش على عدم التهاون في تعاملهم مع مَنْ أسلم من قريش ورغب في الالتحاق بالمسلمين، وهذه بعض التساؤلات:

- هل يرضى رجال قريش بأن يشاركهم عبد نال حريته حديثاً في مجالسهم التي لا يشترك فيها إلا القادة والزعماء الذين لهم مكانة بين الناس؟
- إذا وصل المشركون في ذلك الوقت إلى مرحلة أنهم يقبلون هذا الأمر وهو التسوية بينهم وبين عبيدهم فأين ذهبت معارضتهم للإسلام الذي دعاهم إلى ذلك منذ أول خطوة وكانت معارضتهم لهذا الأمر من أهم الأمور التي جعلتهم يرفضون الإسلام؟
- هل عتق عبد من العبيد يجعله - منطقياً - قابلاً لأن يتبوأ منصب المستشار أو المشارك في نقاشات القادة والزعماء عند قريش؟
- ما هي الفائدة التي رجاها الكيلاني من وراء تضخيم شخصية وحشي في روايته تلك؟ علماً أن الكيلاني قد كرس رواية منفصلة كاملة تحت عنوان "قاتل حمزة" لم ترتقِ فيها شخصية وحشي لما ارتقت إليه في رواية "نور الله" ففي تلك الرواية بقي تعامل قريش مع وحشي كعبد قبل عتقه وبعده كما هو بدون تغيير يُذكر، وهذا هو المنطقي في عُرف قريش وتقاليدها آنذاك.

#### خلل في رسم بعض الشخصيات الروائية :

يقرر د. محمد غنيمي هلال أن الشخصية الروائية هي من أهم عناصر الرواية الفنية، وهي مصدر من مصادر المتعة والتشويق فيها، فهي مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة،<sup>٤٠</sup> إذ تقع في صميم الوجود الروائي، وتقود الأحداث، وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي .. وفوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطراده.<sup>٤١</sup>

ويقول هنري جيمس في مقالته "فن الرواية": "إنني لا أتصور إنشاءً يتركب من سلسلة من الكتل الجامدة، ولا أتصور في أي رواية جدية بالبحث أن هناك نصاً وصفيّاً ليس يُقصد منه السرد الروائي، أو نصاً حوارياً لا يُقصد منه الوصف أو لمسة من الحق مهما كان نوعها لا تشارك الحدث في طبيعته، أو حدثاً لا يشتق أهميته من أي مصدر غير المصدر

الواحد العام لنجاح العمل الفني - ألا وهو الإيضاح التصويري. إن الرواية شيء حي واحد مستمر كغيرها من الكائنات، واستمرار حياتها هذه يعتمد على مدى وجود كل جزء من الرواية في أجزائها الأخرى".<sup>٤٢</sup>

وقد اخترنا من شخصيات هذه الرواية شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد وقع اختيار الكيلاني عليه ليحمله من شخصيات روايته المذكورتين سابقاً، وسنبداً بشخصية عمر في رواية "نور الله" لأنها الأسبق في تاريخ تأليفها ثم ننتقل إلى شخصية عمر في رواية "عمر يظهر في القدس" لتتوالها لاحقاً.

### شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رواية "نور الله" :

أ. في رواية "نور الله" عمر بن الخطاب رضي الله عنه يظهر رجلاً شديداً القلق والانفعال، لدرجة تصبح ملامح هذه الشخصية تقوم على الانفعال والقلق والتسرع وعدم التروي، بل والطيش في بعض الأحيان والتصرف بدون تعقل، ومن ذلك : قول عمر عن نفسه : "دائماً يتلعثم ويضطرب لدى مفترق الطريق، لم يكن كذلك في الماضي، لكن هكذا أصبح..".<sup>٤٣</sup> وفي غزوة الأحزاب لا يفتأ عمر يكرر "بأسى" : "هذا يوم عصيب..".<sup>٤٤</sup> و"نظراته المضطربة التي يبعث بها عمر الخندق إلى بعيد..".<sup>٤٥</sup> ونراه يصبح "بعصية وانفعال"<sup>٤٦</sup> وعمر قلق دائماً<sup>٤٧</sup>. والمعروف عن شخصية عمر التاريخية أنه شديد في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، والشدة في الحق لا تؤدي بالضرورة للقلق والاضطراب، ولعل ذلك أضعف قليلاً من صورة عمر المعروفة في أذهاننا نحن المسلمين.

ب. في قصة زواج السيدة حفصة رضي الله عنها كان هذا الحوار بين عمر وزوجه "تلفت حواليه قائلاً : أين حفصة؟ قالت زوجه : ماذا جرى لك؟؟ إنها عند زوجها.. عند رسول الله" لقد تزوجت حفصة من الرسول، لشدة ما ازداد عمر تعلقاً بابنته، ورفقاً بها، ولشدة ما يتشوق إليها وإلى حديثها العذب، لكن لا بأس من ذلك كله، فإن زواجها من الرسول قد صادف في نفسه هوى، وأثلج قلبه، وجعله يشعر بالفخر والسعادة الكبرى.<sup>٤٨</sup> ونحن نعلم أن قصة زواج حفصة رضي الله عنها من النبي عليه الصلاة والسلام تحوي أموراً عدة يستطيع الكيلاني الاستفادة منها في رسمه لشخصية عمر فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب حين تأملت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب

: أتيت عثمان فعرضت عليه حفصة، فقال : سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوّجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان. فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال : لقد وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً. قال عمر: قلت: نعم، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها<sup>١</sup>. ونرى أن الكيلاني قد فقد إضافات جميلة كان من الممكن الاستفادة منها من خلال هذه القصة التي رويت في التاريخ، ليوظفها في روايته لتخدم شخصية عمر بدلاً من الاعتماد على قصص مختلفة لا أساس لها من الصحة كما سنرى، فكان بإمكانه التوسع في وصف نفسية عمر وحزنه عند تلقيه لرد عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما ثم فرحه وغبطته لرد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

ج. ربط الكيلاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنساء والفتنة التي يتعرض لها من طرفهن، وهذا أمر نرى أنه لا ضرورة له لإثبات طهارة عمر وعفته، وقد توسع في هذا الكيلاني بحيث أنه بدا متكلفاً بعض الشيء. فمن ذلك أنه اختار أن يكون حديث عمر عن البعثة النبوية مع غانية، آوى إلى بيتها، وبين شربه للخمر ومحاولات تلك الغانية إغراءه يتناقش معها بشأن البعثة، ولو أن الكيلاني اختار لهذا النقاش مكاناً آخر، وشخصاً آخر مثل صديق لعمر لكان ذلك أفضل وأقرب للقلب وللعقل أيضاً، والتساؤل هنا هو ما الذي يجعل اختيار غانية هو الأفضل لمناقشة أمر يتعلق بنشأة دعوة ربانية تهدف إلى تغيير قيم ومبادئ في المجتمع الجاهلي آنذاك؟ وهل تكون مناقشة هذا الأمر مع غانية شيئاً طبيعياً ؟ أم أن هذه الأمور يناقشها رجال قريش في أنديتهم ومجالسهم التي كانت منتشرة في مكة آنذاك؟ ولعل الكيلاني أراد أن يرسم صورة للمجتمع الجاهلي الذي كان عمر يحياه قبل إسلامه، وذلك بتقريره لأمر انتشار البغايا في ذلك المجتمع، ولكن كان بإمكانه مثلاً اختيار أن يكون نقاش عمر مع صديقه الذي يشاركه شرب الخمر عوضاً عن تلك الغانية التي حوى الموقف معها بعض التجاوزات والظلال الموحية التي كانت شخصية عمر رضي الله عنه في غنى عنها ولم تضيف إليها شيئاً جديداً مناسباً.

هناك موقف آخر حشر الكيلاني فيه غانية أخرى يهودية، وقد كانت المدينة المنورة هي مسرح ذلك الموقف، فقد أرسلت يهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه غانية منهم لمحاولة التأثير عليه ومن ثم الاستحواذ عليه ليكون طوع أمرهم، وباعوا بطبيعة الحال بالفشل<sup>٥٠</sup>، ونتوقف عند هذا الأمر وأمامنا تساؤلات عدة :

• هل يستطيع الكيلاني إثبات هذا الأمر من كتب السيرة والتاريخ التي تناولت عمر بالتعريف وذكر أخباره؟ مع العلم أن الكيلاني قد ذكر في بداية روايته تلك أنه راجع كتب التاريخ واعتمد على أوثقها وأدقها- كما ذكرنا- ؟ ومن المؤكد أن هذا ليس في استطاعة الكيلاني. وهذا يقودنا لتساؤل آخر : هل من حقه بوصفه روائي أن ينسب لصحابي جليل أمراً كهذا من أجل أن يستقيم له أمر روايته بغض النظر عن : هل وقع عمر في الخطيئة والشرك أم حفظه الله؟

• لماذا اختار الكيلاني أن تقوم امرأة بهذا الإغراء وبالذات مع عمر رضي الله عنه ؟ لماذا لم يختار أن يكون الإغراء بالمال أو الجاه وهذا جائز ومجرب من اليهود مثلما هو معروف عنهم الإغراء بالنساء؟ هل عرف الكيلاني أي بادرة عن عمر رضي الله عنه تبين أن يهود عندهم أمل بأن يتأثر أو يقع في شركهم الذي نصبوه له؟ فإذا كان كذلك فإن كتب التاريخ والرواية نفسها في أماكن أخرى تبين عدم صدق هذا الكلام، فقد رأينا في الرواية نفسها أن عمر رضي الله عنه لا يخاطب امرأته إلا بالأمر والنهي، والشدة والغلظة، فعمر ليس شخصاً سريع التأثر بالنساء وحباثلهن، ولو اختار الكيلاني شخصاً آخر (نكرة) من المسلمين لكان ذلك أوفق وأكثر صدقاً - فنياً وواقعياً-.

د. تطغى في بعض الأحيان شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رواية "نور الله" فتكاد تغطي وتحجب جميع الصحابة الكرام، ولا ندري ما السبب في ذلك؟ هل يريد الكيلاني أن يجعل شخصية عمر هي الشخصية الرمزية التي ترمز لجميع الصحابة؟ ونحن نقرأ ما يقوله عمرو بن جحاش حين يقترح قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: "عندما يموت ينتهي كل شيء سوف يتمزق المسلمون أيدي سبأ، ولسوف يفر المهاجرون مجلودهم قبل أن يريق الأنصار دهمهم، وسينسى العرب قرآنهم وأيامهم الخالكة السواد .. وسيهرب ابن الخطاب - إن نجا - إلى بادية من البوادي، متخفياً في زي امرأة يلوك أحزانه وخيبة أمله .."<sup>٥١</sup> فلماذا اختار الكيلاني ابن الخطاب فقط من الصحابة؟ وأين ذهب أبو بكر وعثمان وعلي وطلحة

والزبير وثلة غير قليلة من الأبطال المعروفين بجبههم للنبي الكريم وشدهم على المنافقين واليهود؟ فلم يكن ابن الخطاب بدءاً بين مَنْ حوله من الصحابة، صحيح أنه في بعض الأحيان كان موقفه أبرز وأشد وضوحاً، لكنه لم يكن الوحيد في هذا المضمار كما يظهر لنا من هذه الرواية. وصحيح أيضاً أن الروائي له الحرية في تسليط الضوء على شخصية ما أكثر من غيرها ولكن على أن لا يكون ذلك محققاً بالشخصيات الأخرى أو على حسابها.

### رواية "عمر يظهر في القدس":

أنهى الكيلاني كتابة هذه الرواية في يونيو ١٩٧٠م، أي ألفاً تأتي بعد رواية "نور الله" بسنة ونصف تقريباً.

الزمن : ينحصر زمن هذه الرواية في الوقت اللاحق لاحتلال اليهود لفلسطين وسقوط مدينة القدس بأيديهم عام ١٩٦٧م وبسط سلطتهم عليها وتصرفهم فيها وفيما حولها من المدن الفلسطينية.

المكان : المكان له أهمية كبيرة في هذه الرواية فالمكان هنا هو القدس تلك الأرض المباركة المقدسة التي دُّسها اليهود في غيبة من المسلمين واستباحوها لأنفسهم.

### الفكرة :

يبين الكيلاني أهم هدف أراده في هذه الرواية فيقول : "إنني أهدف أساساً إلى صنع مواجهة مثيرة بين الإسلام والفلسفات المعاصرة، بين الإسلام (مثلاً في عمر بن الخطاب) وبين الفلسفات المعاصرة (ممثلة في اليهود الذين احتلوا القدس عام ١٩٦٧م، وممثلة في الماركسيين من المسلمين وغيرهم، وممثلة في العلوم الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة في زماننا)".<sup>٥٢</sup>

### الأحداث :

تبدأ الرواية بظهور مفاجئ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم تتسارع الأحداث من ملاحقة السلطات اليهودية له، والضجة الإعلامية التي رافقت ذلك، ومحاولة اليهود لاغتياله أو اعتقاله، وتدخل هذه الأحداث مفارقات من خلال إبراز الفارق الكبير بين الحياة منذ أربعة عشر قرناً والحياة في القرن العشرين وما فيها من تقدم تكنولوجي، وطائرات

وسيارات... وعدم تقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذه التغيرات والاختراعات بل استغرابه ودهشته لكل شيء يقابله.

### الشخصيات :

أبرز الشخصيات هي شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي تجاوزت حدود الزمان والمكان وبرزت في هيئتها الحقيقية الطبيعية التي كانت عليها منذ أربعة عشر قرناً، ثم شخصية الرواية لهذه الرواية وهو شاب فلسطيني من المقاومة الفلسطينية، وهناك راحيل الشابة اليهودية التي تأثرت بشخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم اعتنقت الإسلام، وغيرهم من الشخصيات الأخرى.

### خلل في رسم شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

اختار الكيلاني شخصية "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه لتكون الشخصية الرئيسية في هذه الرواية، وتصور هذه الرواية ظهور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدينة القدس إبان احتلال اليهود لفلسطين، ووجود المقاومة الإسلامية والوطنية، وقد حاول الكيلاني ربط الماضي بالحاضر في هذه الرواية، وقد ذكر في بداية الرواية شيئاً مما يمكن اعتباره أن هذا الظهور لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان حلماً رآه الراوي الذي لم يذكر اسمه، إلا أنه في نهاية الرواية لم يعد إلى هذه النقطة، بل ولم يشر إليها بأي كلمة، بل اكتفى بأن انتهت الرواية بالحكم على الراوي وزملائه بالسجن لاتباعهم الخليفة عمر رضي الله عنه ومساعدته وقرّبه، وبالنسبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فالكيلاني اختار له أن يختفي فجأة كما ظهر فجأة وتنتهي أحداث الرواية بدون إشارة صريحة أو واضحة إلى أن ظهوره أو اختفائه كان حلماً رآه الراوي، بل كان في نهاية الرواية شبه إصرار على أن عمر رضي الله عنه نفسه قد ظهر للناس، وأن ذلك ليس ببعيد عن قدرة الله.<sup>٥٣</sup> إلا أن الكيلاني قد تناول هذا الأمر في كتابه "رحلتي مع الأدب الإسلامي" فقال: "لجأت إلى حيلة قديمة يستخدمها بعض الكتاب والفنانين أحياناً، وهي بحجاء الحدث على هيئة رؤيا أو حلم لشاب فلسطيني مهموم محزون يعيش في القدس، ويرى اليهود يعيثون ويمارسون ألوان الظلم والقهر لشعبنا المسلم في القدس..."<sup>٥٤</sup>

والكيلاني كان شديد الجرأة في اختياره لهذه الشخصية العظيمة في تاريخ المسلمين، ولها من الاحترام والتعظيم الشيء الكثير وستعرض لهذه الشخصية هنا بشيء من التفصيل، فهذه الشخصية بما لها من مكانة عظيمة في التاريخ الإسلامي تعرضت في هذه الرواية لكثير من الاستهزاء والسخرية، ومن ذلك ما يلي :

أ. تقول "راشيل" وهي فتاة يهودية تعرفت على عمر ورأته مختلفاً عن باقي الرجال الذين تعرفهم فأثار في نفسها الفضول، فقالت عنه لصديقها: "إن هذا الرجل ظريف للغاية .. لكأنه من أهل الكهف .. إنه تحفة نادرة."<sup>٥٥</sup>

ب. "إيلي" صديق "راشيل" وهو فتى في المخابرات الإسرائيلية يطلق على عمر لقب "الدون جوان".<sup>٥٦</sup>

ج. يخاطب أحد المحققين عمر فيقول له: "مكانك في دار الآثار القديمة إلى جوار الموميات والتحف".<sup>٥٧</sup>

د. وعند قول هذه الشخصية أنه عمر بن الخطاب يعتبره الكثير من الناس "مرض من أمراض الجنون والتصدع النفسي"<sup>٥٨</sup>، ويقول بعضهم: "سيفرح بهذا الأمر أطباءنا في مصحات الأمراض العقلية والنفسية".<sup>٥٩</sup>

هـ. عند اعتقال اليهود للراوي وعمر يقول أحد الضباط لجنوده عن عمر: "أعدوا له وجبة دسمة". فيبين له عمر أنه لن يأكل من طعامهم لأنه لا يزال يتذكر الشاة المسمومة التي قدمها اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول الكيلاني: "فضحوا بالضحك". لم يكن الخليفة يعلم أن الوجبة الدسمة في مصطلح المخابرات تعني التعذيب الذي لا يطاق.<sup>٦٠</sup>

و. عندما يركبون الحافلة يصفها بالدابة مما يسبب ضحك الناس عليه.<sup>٦١</sup>

ز. عند انتشار أنباء عن ظهور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القدس، حدثت تداعيات كثيرة منها: أن محلات الأزياء الحديثة وأدوات التحميل الفرنسية الصنع، نظموا "أوكرينونات"<sup>٦٢</sup>، وافتتح بعضهم فروعاً تحمل اسم الفاروق أو عمر أو ابن الخطاب، وبلغت السخرية أقصاها حينما قبضت شرطة المخدرات على كمية ضخمة من الحشيش المهرب من إسرائيل، ووجد أن اسم الماركة الجديدة "الفاروق". الحقيقة أن الموضوع الطريف قد خلق موجة من الإنعاش الاقتصادي في شتى المجالات..<sup>٦٣</sup>

### مصادقية هذه الشخصية :

أصر الكيلاني على أن هذه الشخصية هي عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه قفر إلينا من عمق التاريخ ليشاركنا فيما نحن فيه وينير لنا الطريق، وقد استهلك هذا الأمر حيزاً كبيراً في هذه الرواية وهو صدق إدعاء هذه الشخصية بأنها عمر بن الخطاب الخليفة الثاني والصحابي المعروف، فقد توسع الكيلاني كثيراً في إثبات هذا الأمر، وربطه بأن ذلك من الممكن حدوثه فليس ذلك بمستبعد على قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر جعله سبباً للهجوم على علماء الدين الذين سماهم الكيلاني "الرسميين"، فشنّ عليهم حملة شديدة، وذلك لأنهم لم يصدقوا هذا الأمر، ولعل الكيلاني يريد أن يبين أهمية الدور الذي يلعبه علماء الدين "الرسميين" في التمكين للمحتل والغاصب في سكوهم وركوهم إلى الذل والهوان، وضرورة عودهم إلى دورهم المطلوب والمتنظر منهم كدروع تحمي الأرض والدين، من ظلم المحتل الغاصب، ولكن مع هذا كله فإن الكيلاني جعل سبب هجومه عليهم هو فقط أنهم لم يتبعوا عمر ولم يصدقوه في زعمه ذاك.<sup>٦٤</sup>

### لغة هذه الشخصية :

هناك لحات جديرة بالتوقف عندها في لغة هذه الشخصية التي اختارها الكيلاني من التاريخ، فكثيراً من الأحيان نراه يتحدث بكلمات عصرية، ونراه في بعض الأحيان يتكلم كالصوفيين، فالصوفيون كما هو معروف لهم لغة خاصة مميزة لهم في تعبيرهم عن أحاسيسهم ومشاعرهم، وهذه الشخصية نراها تقول لـ "راشيل" على سبيل المثال: "قلي لا يكذب .. الذين يعشقون الجمال الظاهري وحده سطحيون، والذين يعشقون القوة المادية، ويستسلمون لها ضعفاء، والذين يتعبدون في محراب اللذة الفانية هم مشركون، أو عبدة للأوثان. عندما تعشقين الحق والخير والجمال كوجه من أوجه الكمال الإلهي في خلقه فستكونين مع الرجل الصاعد."<sup>٦٥</sup>

### سبب اختيار الكيلاني لشخصية عمر بن الخطاب دون غيرها :

يقول الكيلاني على لسان أحد المعلقين عن سبب ظهور عمر في مدينة القدس: "إن هذا الزمان بنقائصه وانحرافات أنسب مناخ لظهور رجل كعمر، كي يلزمه الجادة، ويأخذ بيده إلى طريق الخير والفضيلة والعدل"<sup>٦٦</sup>



وهو يقول على لسان عمر: "يا أبنائي ما جئت لأسقط حكومة، أو أخوض معركة واحدة وأمضي .. ولكن جئت لأذكركم بكلمة التوحيد التي ترددونها في صلواتكم كل يوم دون استيعاب .. عندما تسير جموعكم على جناحي الشهادتين، فستألون الحرية والنصر والعدل .. وسيكون الموت في سبيل الله نصراً، والحياة لدعوة الله نصراً.."٦٧

ود. محمد حسن بريغش يرى أن الكيلاني اختار شخصية عمر بن الخطاب لعدة أسباب<sup>٦٨</sup> منها:

"لأنها شخصية واقعية لا يستطيع عدو - فضلاً عن الصديق - أن يماري في نصاعتها، وحقيقتها، واستقامتها، وعبقريتها، وسعة إدراكها للأمور."

وهذا الأمر لا شك فيه، لكن هل استطاع الكيلاني أن يظهر هذه الشخصية بهذه الصفات التي نتفق مع د. بريغش عليها؟ فنحن رأينا كيف أن هذه الشخصية بعبقريتها كانت خطأً للسخرية والاستهزاء، ورأينا هذه الشخصية المعروفة بـ "سعة إدراكها للأمور" يغيب عن ذهنها أن القرآن الكريم باقٍ بدون تحريف ولا تبديل حتى يرث الله الأرض ومن عليها. أ. "لأنها شخصية تحوز على كل الصفات المطلوبة من المسلم، وتحوز على الإعجاب، وله في نفوس المسلمين ذلك القدر الكبير من الشعور بالحب والاعتراف بالإيمان والعبقرية والصدق والأمانة والوعي".

وهذا أيضاً ما نوافق د. بريغش عليه، ولعله أن يكون هو السبب الأكبر لعدم استساغتنا لجعل هذه الشخصية هي عمر لأنها لها هذه الصفات التي ذكرها د. بريغش هنا، فهذه الشخصية بما لها من الاحترام والتقدير نرى أنها يجب أن تكون بمنأى عن مثل هذا العمل الذي شابه كثير من التجاوزات أو الجرأة، وقد يشفع بعض الشيء للكيلاني حسن نيته وعدم الشك في حبه للإسلام والمسلمين.

٥٥. "شخصية عمر رضي الله عنه بوضوحها ومميزاتها الإيمانية والعملية تستطيع أن تعطي الصورة المتميزة الفريدة للمسلم في أي عصر".

ونرى هنا أن هناك نماذج من التاريخ الإسلامي كان لها من النصاعة والوضوح والتميز قدراً كبيراً، وفي نفس الوقت ليس لها من القدسية التي لعمر بن الخطاب

يجب أن تُحفظ وأن يكونوا في منأى عن كل ما قد يكون سبباً في التهوين من شأنهم مهما كان ذلك بسيطاً.

ب. "عمر هو الذي حضر فتح القدس واستلم مفتاحها ولهذا ارتبط وضعها الإسلامي باسم الخليفة الفاروق واختياره لهذه القصة له صلة بهذه الواقعة التاريخية".

وهذا الأمر أيضاً كالنقطة السابقة، فقد كان بإمكان الكيلاني اختيار شخصية مثل شخصية "صلاح الدين الأيوبي" الذي ارتبط بالقدس وتحريرها، ولو فعل ذلك لكانت الرواية أقرب إلى الواقع، ولكان الناس أكثر استعداداً لتقبلها والرضا عنها، ولاستطاع الكيلاني أن يؤدي الغرض المقصود من هذه الرواية، بدون أن يقع في ما وقع فيه من هنات، مع ما لصلاح الدين الأيوبي من احترام إلا أنه ليس صحابياً.

ج. د. محمد حسن بريغش يرى أن "شخصية عمر هنا ليست شخصية تاريخية مضت وانقضى عصرها، بل هو المسلم الحقيقي في كل عصر، المسلم الذي يعاني هذه الأزمات، ويكتوي نار الغربة والقهر والحرب، ويجاهد بإخلاص حاملاً الحب والخير للإنسان في هذا العالم".

وهذه الرمزية كان من الممكن تقبلها لو أن هذه الشخصية ظهرت في حلم رآه الراوي بشكل مكشوف ومحدد، أو لو أن الكاتب ذكر ظهور هذه الشخصية عرضاً وكأنه شيء طبيعي، ولكن الكاتب أصر على جعل هذه الشخصية شخصية واقعية جاءت لنا من أعماق الماضي كمعجزة، وكل من لا يصدق بها فهو معرض للانتقاد والتجريح.

بقي أن نذكر قول د. غازي مختار طليمات فهو يقول جواباً على تساؤل لماذا استقدم الكيلاني هذه الشخصية من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فيقول: "غالب الظن أنه استقدمه ليهز به المجتمع الإسلامي، ويزلزل الركود والجمود، وليذكر الفروع بالأصول، والأقزام بالعمالقة، والباطل السائد بالحق البائد، وهو يدرك أكثر مما ندرك أن الزلازل حركات عارضة تصيب الأرض، لا حركة دائمة يقتضيها نظام الفلك، وأنه بالهزة التي يرمع أن يزعزع بها العالم الإسلامي سيثير العامة لا الخاصة، ويبعث في الجذور دفقة زاهرة من حياة تنعش من يكابدون ويجاهدون، وتغيط من يسألون ويستسلمون. وأعمار الهزات ودرجاتها -

واستفت فيها مقياس ريجتر - كعُمرِ عُمَرَ في القدس تقاس بالدقائق والثواني لا بالقرون والسنين، ولذلك لم يكن بد من اختفائه السريع للحفاظ على كيان البنيان أياً كان الأساس الذي يقوم عليه، لأن بقاء عمر يهدد توازن العالم كله، ويث اللارتباك والخلل في نظامه الجديد العنيد، فليخفت كما ظهر قبل أن تتشكل محكمة دولية تحكم على هذا الوافد البدوي المتذمر بالنفي من عالمنا المتحضر.

والخلاصة أن من يقرن عمر هذه القصة بعمر الزمن، وعمر الفاروق بعمر التاريخ ليقف على مغزى ظهور عُمَرَ واختفائه، وعلى طول الفترة التي بزغ فيها نجمه قبل أن يأفل يدرك أن هذه القصة لم تكن أكثر من برق كاشف فضح مخزيات الواقع، أو أكثر من صاعقة مضطربة انقضت من السماء على الأرض، لتحرق أشواك النفاق والجن والخوف. لقد اختفى عمر كما ظهر، وعاد كل شيء إلى ركوده وجموده، وسارت الأحداث في غير الطريق التي رسمها الكاتب.<sup>٦٩</sup>

وهكذا فإن هذه الشخصية في رواية "نور الله" و"عمر يظهر في القدس" قد أصابها شيء من الخلل في رسمها لم نعهده في الشخصيات التي رسمها الكيلاني في رواياته وبما أن هذه الشخصية هي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان لا بد لنا من هذه الوقفات معها.

ونذكر في ختام هذا البحث قول د. نجيب الكيلاني: "إن مسيرة الأديب الملتزم مسيرة شاقة مخوفة بالمخاطر، فقد يرضي فئة من قرائه، ويغضب أخرى، وقد يرضي النقاد ويغضب القراء، وقد يسخط هؤلاء ويرضي ضميره، وتبقى قضية التوافق الحذر أملاً في بلوغ الغاية، وتحقيق الهدف، والسير خطوة خطوة ... ومع ذلك فلإن راضي تمام الرضا عن كل ما يقدمه النقاد، وعلى الأخص المتشددين منهم، إنهم يثيرون قضية من أهم القضايا الأدبية في جيلنا هذا، وإن مجرد إبراز قضية الأدب الإسلامي على السطح، فهو إنجاز كبير في حد ذاته، وعندما يكون لهذا الأدب رصيد كاف، فإن ملامحه ستتحدد أكثر، وسيصبح مدرسة متميزة لها أصولها وقواعدها وأعلامها، وما ذلك على الله بعزيز."<sup>٧٠</sup>

ولعلنا في هذا البحث نكون قد ساهمنا في إبراز بعض الأمور المرتبطة بالرواية التاريخية عند د. نجيب الكيلاني مشاركين له في رأيه ذاك، مع أمل ورجاء أن يكون هذا البحث لبنة في بناء النقد الأدبي الإسلامي مساهمة في تطوير الأدب الإسلامي وتحسينه، والله من وراء القصد.

### الهوامش

- ١- د. حلمي محمد القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، دار البشير، عمان، ط١/ ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ١٤.
- ٢- للمزيد انظر : المصدر نفسه، ص ١٣ و ١٤، فقد قام د. حلمي القاعود بتصنيف تلك الأطر فجعل الإطار الأول : يمثل الرواية الواقعية الرومانسية، والثاني : الاستشرافية، والثالث : الواقعية الإسلامية، والرابع : الرواية التاريخية.
- ٣- د. نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص ٧.
- ٤- د. نجيب الكيلاني، رواية "نور الله"، جزآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة جديدة ومنقحة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ١ / ١٥.
- ٥- المصدر نفسه، ١ / ٢٢.
- ٦- للاطلاع انظر : الكيلاني، رواية "في الظلام"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٠ و ٣٩ و ٥٦ و ٦٣ و ٨٩ و ١١٥؛ وله أيضاً : رواية "رحلة إلى الله"، دار الوثائق، الكويت، د.ط.ت، ص ١٠١ و ١٠٣ و ١١١ و ١٤٥ و ١٩٩ و ٢٩٧ و ٣٩٢ و ٤٣١.
- ٧- الكيلاني، نور الله، ١ / ٢٠.
- ٨- المصدر نفسه، ١ / ٢٧.
- ٩- المصدر نفسه، ١ / ٣٠.
- ١٠- المصدر نفسه، ١ / ٥١.
- ١١- المصدر نفسه، ١ / ٦٤.
- ١٢- المصدر نفسه، ١ / ٧١.
- ١٣- المصدر نفسه، ١ / ١١٠.
- ١٤- المصدر نفسه، ٢ / ١٤٥.
- ١٥- المصدر نفسه، ٢ / ١٩٦.
- ١٦- المصدر نفسه، ٢ / ٢٣١.

- ١٧- المصدر نفسه، ٢/ ٢٦٨.
- ١٨- المصدر نفسه، ٢/ ٢٧٥.
- ١٩- المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٣.
- ٢٠- المصدر نفسه، ٢/ ٣٣٤.
- ٢١- المصدر نفسه، ١/ ٩٤.
- ٢٢- المصدر نفسه، ١/ ١٠٢.
- ٢٣- المصدر نفسه، ١/ ١٦٠.
- ٢٤- المصدر نفسه، ٢/ ٤٠.
- ٢٥- المصدر نفسه، ٢/ ٢٨٠.
- ٢٦- المصدر نفسه، ٢/ ١٣٠.
- ٢٧- المصدر نفسه، ٢/ ٢٠٨.
- ٢٨- انظر: المصدر نفسه، ٢/ ٧٨ و ٢٦١.
- ٢٩- انظر: ابن هشام، مختصر سيرة ابن هشام، إعداد: محمد عفيف الزعبي، مراجعة: عبد الحميد الأحمد، دار النفائس، بيروت، ط/٦، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٠١. وبداية نص صلح الحديبية: (هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض....).
- ٣٠- الكيلاني، نور الله، ١/ ١٧٢.
- ٣١- صفى الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، د.ط.ت، ص ٤٠٩.
- ٣٢- الكيلاني، نور الله، ٢/ ٧.
- ٣٣- المصدر نفسه، ٢/ ١٣.
- ٣٤- كُتب في رواية الكيلاني "أبو العاصي" وقد نظرت في كتب الحديث والسير فوجدته في جميعها يُكتب "أبو العاص". انظر: البخاري، صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، ط/١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب

ذكر أصهار النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو العاص بن الربيع، رقم الحديث : ٣٧٢٩، ص ٧٦٦.

<sup>٣٥</sup>- انظر : مختصر سيرة ابن هشام، ص ١٢٩.

<sup>٣٦</sup>- انظر الحديث في : صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من فتنة الفقر، رقم الحديث: ٦٣٧٧، ص ١٣٤٩، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة الغنا وشر فتنة الفقر..."

<sup>٣٧</sup>- للمزيد عن المعنى الحقيقي للزهد انظر : ابن الجوزي البغدادي، تلبس إبليس، تحقيق : صلاح عويضة، دار المنار، القاهرة، ط/٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ص ١٣٥ وما بعدها؛ وما رواه أبوذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : {الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بما أرغب فيها لو أنها أبقيت لك} انظر: الترمذي، جامع الترمذي، جزءان، مع ترجمة للأردية : مولانا فضل أحمد صاحب، دار الاشاعت، اردو بازار، كراتشي، د.ط.ت، باب : ما جاء في الزهادة في الدنيا، ٢/ ٢٤، رقم الحديث : ٢١٥٧.

<sup>٣٨</sup>- الكيلاني، نور الله، ١/ ٢٨٤.

<sup>٣٩</sup>- المصدر نفسه، ٢/ ١٩٥.

<sup>٤٠</sup>- د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، د.ط، ١٩٧٣م، ص ٥٦٢.

<sup>٤١</sup>- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط/١، ١٩٩٠م، ص ٢٠.

<sup>٤٢</sup>- مارك شورر وجوزفين مايلز وجوردن ماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، جزءان، ترجمة: هيفاء هاشم، مراجعة: د. نجاح العطار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، د.ط، ١٩٦٦م، ١/ ١٢٤.

<sup>٤٣</sup>- الكيلاني، نور الله، ١/ ٢٩ و ٢٩٣.

<sup>٤٤</sup>- المصدر نفسه، ١/ ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٣٢٤.

- ٤٥- المصدر نفسه، ١/ ٢٩٢.
- ٤٦- أيضاً، و ٢٩٤.
- ٤٧- انظر : المصدر نفسه، ١/ ٣١٩.
- ٤٨- المصدر نفسه، ١/ ١٠١.
- ٤٩- صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، رقم الحديث: ٥١٢٢، ص ١١١٢.
- ٥٠- الكيلاني، نور الله، ١/ ٧٦ و ٨١.
- ٥١- المصدر نفسه، ١/ ٢٠٣ و ٢٠٤.
- ٥٢- الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٩٣.
- ٥٣- انظر : د. نجيب الكيلاني، رواية "عمر يظهر في القدس"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٦، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٢٥٦ - ٢٥٩.
- ٥٤- انظر : الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٩٤.
- ٥٥- الكيلاني، عمر يظهر في القدس، ص ٢٨.
- ٥٦- المصدر نفسه، ص ٣٣.
- ٥٧- المصدر نفسه، ص ٦٤.
- ٥٨- المصدر نفسه، ص ٦٥ و ١١١.
- ٥٩- المصدر نفسه، ص ٦٥.
- ٦٠- انظر : المصدر نفسه، ص ٦٧ و ٦٨.
- ٦١- المصدر نفسه، ص ٤٦.
- ٦٢- أوكزيونات : هي تنزيلات في أسعار السلع في المحال التجارية في أوقات معينة ليُقبل الناس على شرائها.
- ٦٣- الكيلاني، عمر يظهر في القدس، ص ١٨٩.
- ٦٤- المصدر نفسه، ص ١٣٥ و ١٣٨.
- ٦٥- المصدر نفسه، ص ١٢٢.
- ٦٦- المصدر نفسه، ص ١٩٠.
- ٦٧- المصدر نفسه، ص ٢١٤.

<sup>٦٨</sup> - محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط/٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٢٠٣.

<sup>٦٩</sup> - د. غازي مختار طليمات، "الجدور في رائعة الكيلاني"، مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، رجب - ذو الحجة ١٤١٦هـ، ص ٦٩-٧٨.

<sup>٧٠</sup> - الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٥٧.



## المصادر والمراجع

١. ابن الجوزي البغدادي. تلبس إبليس. تحقيق : صلاح عويضة. دار المنار، القاهرة. الطبعة الثانية. ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٢. ابن هشام. مختصر سيرة ابن هشام. إعداد : محمد عفيف الزعبي. مراجعة: عبد الحميد الأحمد. دار النفائس، بيروت. الطبعة السادسة. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٣. البخاري. صحيح البخاري. دار السلام، الرياض. الطبعة الأولى. ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٤. الترمذي. جامع الترمذي. جزءان. مع ترجمة للأردية : مولانا فضل أحمد صاحب. دار الاشاعت، اردو بازار، كراتشي. بدون طبعة وبدون تاريخ.
٥. حسن بحراوي. بنية الشكل الروائي. المركز الثقافي العربي، بيروت. الطبعة الأولى. ١٩٩٠م.
٦. د. حلمي محمد القاعود. الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني. دار البشير، عمان. الطبعة الأولى. ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
٧. صفى الدين المباركفوري. الرحيق المختوم. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت. بدون طبعة وبدون تاريخ.
٨. مارك شورر وجوزفين مايلز وجوردن ماكنزي. أسس النقد الأدبي الحديث. جزءان. ترجمة : هيفاء هاشم. مراجعة : د. نباح العطار. مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق. بدون طبعة. ١٩٦٦م.
٩. محمد حسن بريغش. في الأدب الإسلامي المعاصر. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن. الطبعة الثانية. ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٠. د. محمد غنيمي هلال. النقد الأدبي الحديث. دار العودة، بيروت. بدون طبعة. ١٩٧٣م.
١١. د. نجيب الكيلاني. رحلتي مع الأدب الإسلامي. مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
١٢. د. نجيب الكيلاني. رواية "نور الله". جزءان. مؤسسة الرسالة، بيروت. طبعة جديدة ومنقحة. ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

١٣. د. نجيب الكيلاني. رواية "في الظلام". مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٤. د. نجيب الكيلاني. رواية "رحلة إلى الله". دار الوثائق، الكويت. بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٥. د. نجيب الكيلاني. رواية "عمر يظهر في القدس". مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة السادسة. ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

#### المجلات :

مجلة الأدب الإسلامي. السنة الثالثة. العددان التاسع والعاشر. رجب - ذوالحجة ١٤١٦هـ.